9

معركة النسانيس !

قال سندباد :

تلفَّتُّ حواليَّ أبحث عن آثار أبي، ولكني لم أر شيئًا، فقد كان الفضاء حولي خاليًا إلا من تلك الأشجار السامقة وقد تساقطت تحتها الثمرات، فانحنيت على ثمرة منها لألتقطها، ولكني أحسست حركةً ورائي.

فاعتدلت ونظرت، فإذا نسناس يتربص بي على بعد وقد صوب إليَّ سهمًا؛ فوثبتُ مبتعدًا عن مَرمى السهم فنجوت؛ ولكني لم أقنع بالنجاة من ذلك السهم القاتل فهجمتُ على النسناس وقد امتلأت نفسي حقدًا وضغينة . .

وارتميت عليه فألقيته أرضًا، ثم ركبته وجعلت يدي في رقبته لأخنقه، ولكنه مات من المفاجأة قبل أن تضغط يدي على رقبته؛ فنزلتُ عنه ووقفت أنظر وأتسمَّع، فإذا صوتٌ آخر ورائي، فالتفتُّ نحوه، فرأيت أبا الإسعاد قادمًا يتوكأ على نفسه . .

وفجأةً رأيته ينبطح على الأرض كأنما دفعتْه يدٌ من ورائه، ومَرَقَ سهم بجانب أذني فلم يصبه ولم يصبني . . .

وقبل أن أتبيَّن موقفي أو أدرك حقيقة ما حدث، انطلق سهم آخر فطار بعمامتي؛ فانبطحت على وجهي بجانب أبي الإسعاد، وقد أيقنتُ أن فرقةً من النسانيس يصوبون سهامهم إلينا . . .

ثم رأيتهم يبرزون من وراء الشجر متجهين إلينا، فاندفعت نحوهم؛ ولم يكونوا يتوقعون ذلك؛ فاضطربوا ووقع الخلل في صفوفهم وولَّى بعضهم هاربًا، فشجعني ذلك وهجمتُ عليهم؛ فأطلقوا سهامهم من قرب فلم تصبني؛ فولوا ظهورهم وانطلقوا هاربين يحجلون، ووقع بعض ما كانوا يحملون من القسي والسهام؛ فأخذت منها قوسًا، وصوبت سهمًا إلى أحدهم فأصبته، ثم صوَّبتُ سهمًا آخر؛ ولكنهم اختفوا عن عينيَّ قبل أن يصل ذلك السهم، وخلا المكان . . .

فهللتُ فرِحًا، ثم نظرت ورائي وأنا أقول : أرأيت يا أبا الإسعاد؟

ولكن أبا الإسعاد لم يكن ورائي، فقد بقي في مكانه منبطحًا وهو ينظر إليَّ من بعيد حتى اختفيتُ عن عينيه وراء النسانيس؛ فرجعتُ إليه؛ ولكن لم أكد أقترب من مكانه حتى رأيتُ فرقةً أخرى من النسانيس قد أحاطوا به يريدون أن يقيدوه ليذهبوا به؛ فزعقت فيهم من بعيد: قفوا لا تتحركوا . . .

وفاجأهم زعيقي قبل أن ينتبهوا إلى وجودي، فالتفتوا نحوي، ثمَّ شدُّوا أوتار قسيِّهم وسدَّدوا السهام؛ ولكن سهمي كان أسرع إليهم، فسقط منهم نسناس؛ فتشجع أبو الإسعاد وارتمى على المصاب فانتزع قوسه وسهمه ليشارك في المعركة !

وخاف سائر النسانيس ففروا والسهام في ظهورهم، فسقط على الأرض خمسة منهم : أصبت منهم أربعة وأصاب أبو الإسعاد الخامس . . .

هذه النتيجة الباهرة لم تكن في حسابي ولا في حساب أبي الإسعاد ولا في حساب النسانيس؛ وقد تعلمتُ منها حقيقةً عظيمة، هي أن النصر دائمًا حليف الشجاعة، ولا حليف القوة والعدد الجمّ . . .

ونظر إليَّ أبو الإسعاد قائلًا : احذر يا سندباد أن تغتر؛ فنحن وحيدان في هذا المكان، وقد انتصرنا على النسانيس في أول جولة، ولكنهم لن يسكتوا او يكفُّوا عن طلب الثأر، ولابد أن يعودوا . . .

ولم يكد أبو الإسعاد ينتهي من كلمته حتى سمعت حركةً قريبة، فشددتُ وتر القوس واستعددت للرَّمْي؛ فلم أكد ألمح أول شبح مقبل حتى أطلقتُ سهمي، وإذا صراخ يرتفع : آه أدركوني ! لقد أصابني النسانيس !

وعرفت الصوت، فاضطربت اضطرابًا شديدًا ثم اتجهت نحوه؛ وكان " باقر" راقدًا على الأرض والدم ينزف من جرحٍ عميق في صدره . . .

وا أسفاه ! لقد أصبت صديقي بسهمي وكان تَسَرُّعي هو السبب !

وانحنيت عليه قائلًا : أراك بخير يا باقر، فأين أصابك السهم ؟

فنظر إليَّ في انكسار وضعف ثم قال انج بنفسك يا سندباد قبل أن يصيبوك كما أصابوني !

فآلمني هذا القول إيلامًا شديدًا؛ ولكني كظمتُ ألمي وأخذت أمزق الثياب عن موضع الجرح لأعرف أين أصابه السهم؛ فإذا هو قد نفذ من بين أضلاعه إلى تجويف صدره؛ فقلقت وأشتد خوفي على حياته !

وكان السهم لم يزل مرشوقًا في صدره، فنزعته بلطف، ثم وضعتُ منديلي في مكان الإصابة، وأسندته حتى وصلت به إلى المغارة فأرقدته على أرضها ثم قلت له أيمكن أن يكون هنا ماء يا باقر ؟

قال : نعم؛ ولكنى أخاف أن تذهب الآن إلى العين فيروك !

قلت : أريد الماء الآن لأغسل به الجرح.

فأجاب بعد تردد : أذهب واحترس؛ إنَّ العين وراء ذلك الشجر الملتف؛ ولكن المكان لا يخلو من أحدهم في النهار! . . .

فقمت لآتيه بالماء؛ وبحثت عن قوسي وسهمي فلم أجدهما ولم أذكر أين تركتهما؛ فوقفتُ برهة أحاول أن أتذكر؛ فقال لي: أنت خائف يا سندباد، ومن حقك أن تخاف . . . بالله لا تذهب الآن !

فمست كلماته عاطفتي وامتلأت عيناي بالدموع !

هذا الزميل الكريم، أنا رميتُه بسهمي وهو لا يدرى، ويخشى عليَّ أن تصيبني سهام العدو!! يا له من موقفٍ شديد الإيلام للنفس !

وخشيت أن يفضحني اضطراب نفسي؛ فانطلقت مسرعًا ولكني لم أكد لأخرج من المغارة حتى بَاغَتتْني فرقة من النسانيس، فانقضُّوا عليَّ انقضاض الصاعقة، ثم قيَّدوني وحملوني ومضوا بي !